أدب الرحلات وقياس المسافات في العراق القديم

أ.د. عامر عبدالله الجميلي
كلية الآثار/ جامعة الموصل/ العراق

أ. قياس المسافات

اعتمد الانسان الاول في قياس المسافة على حركته الخاصة المقاسة بطول اقدامه وذراعه وخطواته. ولذلك كانت المسافات تختلف حسب اختلاف طول الخطوات وطول الاقدام كما انهم استخدموا الزمن في قياس المسافات فعرفوا سرعة الانسان والحيوان. ومقدار ما يقطع كل منهما في اليوم حتى اصبحت هذه الوسيلة شائعة في معظم الحضارات القديمة(1). ان تزايد حاجة الانسان بعد نشوء الحضارة في بلاد الرافدين الى تدوين المعاملات والشؤون التجارية المتعلقة بالمعابد والمباني العامة. دعا الى توحيد الموازين والمكاييل والقياس، وابتداع طريقة للعد وقواعد حساب المعاملات، وكانت بداية ذلك في عصور ما قبل التأريخ، ويُظن ان الانسان اسس طريقة عده على عدد اصابع يديه ولذلك اتخذ الانسان في الغالب طريقة العد العشرية الا ان السومريين استخدموا، الى جانب الطريقة العشرية، الستينية وتقوم الطريقة على اساس ان العدد 60 تفوق قابليته للقسمة بقية الاعداد، فهو يقبل القسمة على 2، 3، 4، 5، 6، 10، 12، 15، 20، 30(2).

كما استخدم سكان بلاد الرافدين القديمة وحدة المقاييس الطولية(3) منذ عصر فجر السلالات والتي عرفت بـ **<u>كار</u> GAR** الذي يساوي 20 قدماً او 6 امتار، كما عرفوا **بيرو** ***bērû*** في اللغة الأكدية و **DANNA** في اللغة السومرية، أي: ساعة مضاعفة وهي وحدة قياس الزمن والمقصود بها الساعة البابلية التي كانت تساوي ضعف زمن الساعة الحالية. وتقدر المسافة التي يستطيع الانسان قطعها في المسافة البابلية بما يقرب من فرسخين

(1) فضيل، عبد خليل والمشهداني ، إبراهيم عبد الجبار : الفكر الجغرافي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، كلية التربية الأولى (ابن رشد) ، 1990 ، ص 67.
(2) فضيل، المصدر السابق، ص67.
(3) للمزيد، ينظر جدول وحدات قياس الطول وما يقابلها من وحدات في وقتنا الحاضر في الاشكال والملاحق(ملحق رقم 1)، ص294.

(= 10.8 كم) [4]، فضلا عن وحدات اخرى ترد في ادبيات الرحلة في بلاد الرافدين مثل **العصا نندا NINDA** في اللغة السومرية و ننّدانُ ***nindānnu*** في اللغة الأكدية وكذلك **المرحلة او مسافة بريد وهي ما عرفت في اللغة السومرية بـ أُش UŠ** وغيرها. اذ أتتنا نصوص عديدة وإشارات الى قياس المسافات ذات علاقة بارتباط بلاد الرافدين القديمة بالاقاليم الخارجية عن طريق الحروب والتجارة[5] من خلال عدة طرق تأريخية، اذ كثيرا ما تناولت النصوص تلك الطرق. ولعل اشهر الطرق قد انحصرت بثلاث مجموعات بالنسبة لاتجاهاتها والبلدان التي تؤدي اليها وهي:

1. الطرق المؤدية الى الاقاليم الغربية.
2. الطرق المؤدية الى الاقاليم الشرقية.
3. الطريق البحري[6].

والرحلات التي تبدو في منظور خاص اكثر النصوص الجغرافية الفاتاً للعناية والمتعة من كل النصوص الاخرى، ويقينا فانها اكثر انباءً بالمعلومات وبما تتيحه من الاستدلال الضمني على الاقل، اذ تسجل المحطات المتعاقبة عبر مسار الرحلة او المسيرة او الزحف. وقد تكون هذه المحطات مدنا كبيرة او قرى صغيرة او مجرد دور استراحة او مرابط، وتكون الرحلة اما وصفية او تقريرية، والمحطات او المرابط قد تكون مدرجة كلها باسهاب او لا تكون كذلك، وقد تكون مساوية احداهما للاخرى في المسافة او في الزمن الذي يستغرقه المسافرون بين الواحدة والاخرى[7]،

---

(4) لم يتفق الباحثون حتى الان عمّا يقابل البيرو من وحدات الطول في الوقت الحاضر فمنهم من يحددها بـ 7,3 كم واخر يحددها بـ 10.6 كم وثالث يراها 10.8 كم وهو المرجح للمزيد من التفصيل يُنظر: RLA, 7, P. 467.

(5) وهو ما تطلب قيام الملوك والحكام العراقيين القدماء ومنذ اقدم العصور بانشاء الطرق والمسالك الداخلية والخارجية ووضع قوائم جغرافية لتحديد مسالكها والمراحل بين المدن التي تمر منها او تقع عليها، ولدينا الكثير من النصوص المسمارية التي توضح تلك المسالك والطرق التي استخدمها السكان انذاك في مواصلتهم الداخلية والخارجية، وكانت بعض تلك الطرق مائياً فيما كان البعض الاخر برياً (يونس، ريا عبد الرزاق: فجر الحضارة السومرية في ضوء اختام عصري الوركاء وجمدة نصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 1998، ص 11.

(6) باقر، طه: مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج1، ط3 : الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين ، بغداد 1973 ص31.

(1) Hallo, "Origins The Ancient Near Eastern Background of some Modern Western Institution", E.J.Brill, Leiden, New York KOLN, 1996., P. 20, 90.

وعلى الرغم من كل هذه فان نصوص وادب الرحلات هي اقرب القرائن الى الخرائط الحديثة وافضل مصور لدينا لرسم خريطة لاسماء جغرافية عديدة والتي تكشفها مصادر اخرى. وان الفكرة القائلة بان "اطلس ابلا الجغرافي"[8]. يمثل نوعا من الرحلة لم يؤيدها الكثير من الباحثين.

كان التجار والرسل (الموفودون) والجيوش والملوك يلجؤون الى السفر[9] وكان الملوك يلجؤون اليه لغرض المتعة، ويمكن ان تكون الرحلة للمسافر على رسله (بتأنٍ) او على شكل حملة عسكرية[10].

ولعل ابلغ دليل على عناية القوم بالسفر وطرق المواصلات الخارجية انهم وضعوا ادلة او اثباتا جغرافية بالطرق والمسالك المشهورة وتحديد المراحل والمسافات والمدن التي تمر منها او تقع عليها، ما يصح تسميته بدليل الطرق والمسالك **Itinerary**، وقد جاءتنا نماذج طريفة لعل اشهرها واقدمها ما يرجع الى العصر البابلي القديم عرفت برحلة الطريق الى إيمار[11].

وفي الالفين الاول والثاني ق.م لم تكن مسيرة 25 – 30 كم مسألة غير مألوفة، وفي الالف الاول ق.م كانت جيوش الدولة الآشورية تسير قرابة 20 – 40 كم في اليوم وفي النسخة الآشورية الحديثة لملحمة كلكامش تبلغ المسافة العادية المقطوعة في مدى 45 يوما هي 150 بيرو (ساعة مضاعفة)=1620كم تقريبا، أي:(3 بيرو في اليوم الواحد وهو ما يعادل 30 كم في اليوم) وقد تمكن كلكامش وانكيدو من قطع 50 بيرو او اكثر من 500 كم اذا ما ترتب علينا ان نصدق الملحمة[12].

---

(8) وهي مستنسخة طبق الاصل عن قائمة ابي الصلابيخ الجغرافية عثر عليها في مدينة ابلا بالقرب من حلب في سوريا وقد ضمت ذات المواقع الجغرافية الواردة في قائمة ابو الصلابيخ الا ان النص الابلائي يتميز بانه نص مدرسي ومتكامل وكونه يشكل اطلسا ممتازا لمنطقة الشرق الادنى القديم وما يميزه اكثر انه مدونا بكتابة مسمارية مقطعية سهلة القراءة اذا ما قورنت مع الصيغة السومرية التصويرية من فترة فجر السلالات التي وجدت عليها قائمة ابو الصلابيخ الجغرافية (تنظر القائمة في فصل القوائم الجغرافية) Pomponio, F., "Notes on the Lexical Texts from Abu Salabikh and Ebla", **JNES**, 42, 1983, pp.92.

(9) رفدت وثائق السفر في بلاد الرافدين القديمة دارسي المعارف الجغرافية حديثاً بوثائق ونصوص مهمة وكبيرة، لكونها من المعارف المنظمة منذ عصور قديمة من تأريخ بلاد الرافدين.

(4) Hallo, "Origins" Op. Cit, P. 78.

(11) باقر، المقدمة، ج1، ص31.

(1) Hallo, "Origins" Op. Cit, P. 79.

وهذه السرعة في الاسطورة ليست فريدة من نوعها، اذ يخبرنا شولكي[13] في انشودة **ملك الطريق** متفاخرا بانه قد ركض من عاصمته اور[14] الى العاصمة الدينية نيبّر (نفّر) وعاد منها الى اور في يوم واحد ليحتفل بمهرجان القمر في المدينتين في اليوم نفسه، والمسافة هنا هي 15 بيرو=30ساعة او حوالي 160 كم ذهابا و 160 كم ايابا أي 320 كم للرحلة كلها[15].

ان انجاز شولكي سواءً أكان صدقا ام غير ذلك ينتسب الى عصره ويترك اثرا يتردد في عصور لاحقة قبل عصر سلالة ايسن الاولى التي اعقبت سلالة اور الثالثة (2112–2004ق.م) في السيادة على سومر، اذ يقدم لنا اشمي داكان رابع ملوك سلالة إيسن (1953–1935ق.م) نصا على تمثال يصور الملك راكضا تجاه نِبّر (نُفّر)، ويبدو أن اشمي داكان قد قَلّص مزاعمه اذ يقول انه جرى دربا واحدا وليس دربين، بمعدل 15بيرو=30 ساعة (ساعة مضاعفة) في اليوم تضمنتها رحلته، وهو الزمن ذاته الذي زعمه كلكامش وانكيدو في رحلة عودتهما الى مدينة اوروك (الوركاء)[16]، كما تتضمن رحلة شولكي اعطاء اسماء محطات (**É. DANNA**) أي. دنا في اللغة السومرية و بيت بيرِ ***bīt bēri*** في اللغة الأكدية أي محطة استراحة، وهذه المحطات تقع على مسافة بيرو (ساعة مضاعفة) لكل محطة او استراحة، وقد بنى في كل منها بيت استراحة او بيت كبير (قصر) **أي. كال** **É. GAL** يحتوي على اماكن استراحة، والمسافر يجد في هذه المحطات الراحة والطعام والشراب، واشار ملوك اخرون الى مثل هذه الرحلات الفردية كأور – نمّو والد شولكي الذي كان اكثر تواضعا من ابنه في وصفه لرحلته الى نِبّر في السنة الرابعة من حكمه [17].

---

(13) شولكي: ثاني ملوك سلالة اور الثالثة حكم 48 سنة بين سنة 2095 – 2048 ق.م وهو ابن اورنمو مؤسس السلالة، اشتهر كوالده بتشييد المعابد وتعمير المدن وفتح القنوات.

(14) أور: مدينة سومرية كبيرة كانت تقع على نهر الفرات، قُدّس فيها اله القمر ننار (سين) تعرف بقاياها الحالية بـ (تل المقيّر)، (بوستغيت، نيكولاس: حضارة العراق وأثاره، ترجمة سمير عبد الرحمن الجلبي، بغداد، 1991،ص142)

(3) Hallo, Origins, Op. Cit, P. 79.
(4) CDA, P. 80.

الوركاء: من اكبر المدن السومرية في القسم الجنوبي من العراق، وكانت مركزا لعبادة الاله آنو اله السماء والالهة إينانا (عشتار تقع على بعد 15كم تقريبا الى الشرق من ناحية الخضر الحالية في محافظة المثنى – السماوة–)، (رشيد، الشرائع، المصدر السابق، ص225)

(5)CDA, P. 81.

كما اتت النصوص التي عالجت امتداد نفوذ العراقيين القدماء على البلدان الخارجية على ذكر المسافات ومساحة بعض المناطق وحدودها، ويبقى النص المتضمن ثبتا بغزوات الملك شَرّوكين (سرجون) الاكدي خير مثال على ذلك، إذ نطالع في هذا النص بعد تدوين اسماء البلدان والمدن التي فتحها وحركته من مدينة الى اخرى ما نصه: "عندما غزا شَرُكين (سرجون) ملك الكون عموم البلاد التي تحت السماء، رسم حدودها وقاس مساحتها[18]: "مسيرة 120 بيرو (ساعة مضاعفة) = 1296 كم بين ذيل الفرات (نهايته عند راس الخليج)[19] وبلاد ميلوخا ومُكان (عُمان)، الحدود التي حددها بالقياسات التي ثبتها"، وبعد ذلك يدون الكتبة ثبتاً بابعاد حدود كل بلد: "40 بيرو (ساعة مضاعفة) =432كم وهي مساحة مرخشِ ***marhaši*** 60 بيرو =648كم وهي مساحة تكِرِش ***tukriš*** (لورستان حالياً جنوب غرب ايران) 90 بيرو =972كم مساحة بلاد عيلام، 180 بيرو =

---

(18) وهو يماثل دور الإله مردك في تحديد ابعاد السموات ومياه المحيطات (الاعماق) – ***apsu*** – ينظر: (Ee. IV, 141 – 144).

(19) اذا كان ذيل الفرات هو مدخل النهر في جنوب بلاد بابل سيوضع هذان البلدان باكثر من 1.300كم، اما اذا كان **ذيل الفرات** واقعا في اقصى جنوب بلاد بابل قرب مقدمة (راس) الخليج، ولأن مساحة اكد وكما سنرى لاحقا تبلغ 180 بيرو أي ما مقداره 1944كم تقريبا، عندها تسمح هذه المسافة بتطويق بيضوي او مستطيل لعرض بلاد الرافدين بخطوط حدودية مرسومة بين آشور وسامراء في الشمال حتى ساحل الخليج، اذا كانت **اكد** تشمل كلا من سومر واكد، اذ ان سومر ليس مدرجة في الاسطر 33 الى 42 من النص، وعليه فان مساحة اكد البالغة 180 بيرو=1944كم تكون معقولة بناء على ذلك. ولابد ايضاً ان تكون مكان وميلوخا واقعتين بمسافة 120 بيرو=1296كم اسفل الخليج العربي، وهو ما يتلاءم مع موقع مُكان (عُمان) ودلمون (البحرين) في بلدان ما وراء البحر الادنى استنادا الى رواية النص، الا انه يتعارض مع موقع ميلوخا في الجزء الاول من جغرافية سرجون، إذ تكون ميلوخا واقعة في الغرب قرب مصر وكذلك في نصوص **تل العمارنة** والحوليات الآشورية كما نقرأ في احدى حوليات آشور – اخي – ايدينا – (اسرحدون) التي خلدت حملته على مصر والتي يذكر فيها انه عسكر في ميلوخا بعد مغادرة مصر بفترة وجيزة: "من مصر قَوّضت الخيام وواصلت تقدمي الى ميلوخا" ينظر: (Borger Esarh. 112: 115) للمزيد يُنظر: (Horowitz, Op. Cit, P. 86) وهو ما يتفق مع ما ذهب اليه الباحث كريمر من ان ميلوخا تقع على ساحل الصومال والحبشة ينظر: Kramer. S. N, "Sumerians" Chigago, 1963, PP. 261 – 277، في حين ترجح الادلة المتوافرة تحديد موضع ميلوخا بمناطق= = شبه القارة الهندية، وقد يكون على ساحل مكران الايراني او ربما يمتد الى الداخل في الاراضي إلهندية لتشمل مراكز الحضارة السندية القديمة (موهانجيدارو) في وادي السند و(خرابّا) ينظر:

Leemans, S.W.F, "Foreign Trade in the Old Banylonia Period, Leiden, 1960, PP. 161 – 162.

1944كم مساحة بلاد اكد" 120 بيرو=1296كم مساحة سوبارتو (بلاد آشور)، 120 بيرو = 1296كم هي مساحة امورو (بلاد الشام) من لبنان الى تُرقي (تل العشارة على الفرات)، 90 بيرو=972كم هي مساحة لولوبي (المنطقة الجبلية في شمال شرقي العراق)، 90 بيرو=972كم وهي مساحة انشان – تل امليّان احد اقاليم بلاد عيلام–". وبعد ذلك يخبرنا النص بالحدود العامة وتخصيص بعض البلاد المجاورة لها ومن ذلك ذكره للبحر العلوي **A. AB. BA. *elīti*** (البحر المتوسط) وبعض البلدان عبر ذلك البحر، والبحر السفلي **A. AB. BA. *šaplīti*** (الخليج العربي) مقترنا بدلمون (البحرين) ومَكان (عُمان) ويمضي فيخبرنا بالاقاليم من الشرق الى الغرب[20].

كما يخبرنا الملك نبوكُدرُّي اصّر (نبوخذ نصر) الاول (1124 – 1103 ق.م) من خلال حملته الشهيرة على بلاد عيلام التي هدفت لأخذ الثأر لأكد ان المعركة بدأت من مدينة **دير *der*** (تل العقر في بدرة شرق العراق حالياً) في اشد اشهر الصيف حرارة وهو شهر تموز وقد عانى الجيش البابلي من الحر ونقص المياه كما يذكر النص انه: "مشى من مدينة الدير مدينة الإله انو مسيرة 30 بيرو (ساعة مضاعفة = 324 كم) من شهر تموز حيث بدات الحملة [...] الفأس احترقت كالنار والطرقات احترقت كاللهب ولم يكن هناك ماء في الابار وتجهيز الشرب انقطع"[21].

اما الملك الآشوري آشور – اخي – ايدينا (اسرحدون680–669ق.م) فيذكر في احدى حولياته وهو يصف زحفه لبعض المدن الواقعة حالياً في جنوب فلسطين ومنها أبق ***apeq*** (فيق حالياً جنوب غربي سوريا شرق بحيرة طبرية) الى رَبيخُ ***rapīhu*** (رفح حالياً في فلسطين) ان المسافة بين المدينتين هي (مسيرة 30 بيرو = 220 كم اذ كان بيرو = 7.3 كم).

كما توضح رواية مماثلة تشير الى زحف الملك آشور بانِ ابلِ (آشور بانيبال668–627ق.م) من مدينة دمشق الى مدينة خلخيتُ ***hulhulītu*** (خلخلة شمال محافظة السويداء في سوريا حالياً) ، اذ يذكر النص ان المسافة بين المدينتين كانت (مسيرة 6 بيرو، فاذا ما صدق ادعاء

---

(20) الراوي، فاروق ناصر: العلوم والمعارف – الجغرافية –، حضارة العراق، ج1، بغداد، 1985، ص 281 – 282. ينظر كذلك:
Horowitz, Wayne "The Sargon Geography", Op. Cit, PP. 67 – 95.

(21) العبيدي، خالد حيدر عثمان : أحجار الحدود البابلية (كدورّو) – دراسة تحليلية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، 2001 ، ص66.

كاتب الحولية فانها تكون مطابقة مع موقع تل اثري يبعد ما يقرب من 50 كم الى الجنوب من موقع المدينة الاخيرة، إلا ان هذا يصدُق في حالة جعل بيرو = 8.3 كم وليس 7.3 كم[22].

وتقدم لنا كتابة اخرى للملك آشور اخي أيدينا (اسرحدون) تتحدث عن إلهجوم الاخير الناجح على مصر عام 671 ق.م، فكرة عن المشاكل، فالملك يتحدث عن التقدم الى **رفح** بجانب وادي مصر (العريش حالياً) ، حيث لم يكن هناك نهر، لذا كان عليه ان يستقي الماء لقطعانه من البئر بوساطة الحبال والسلاسل، وكانت وسائط نقله هي الجمال التي وفرها له حلفاؤه العرب، وقد وجد الرحلة فعلا مزعجة **مسيرة 15 يوما** خلال الكثبان الرملية و**يومين** خلال اقليم فيه **هكذا يقول** ثعابين برأسين قاتلة وهناك مسافات اخرى لقطعها، وتستغرق كلها **شهراً ونصف،** اذا كانت الارقام ترجمت بشكل صحيح[23].

ولم يكتف كتبة الرحلات بتزويدنا بمقدار المسافات المقطوعة في الطرق البرية فحسب، بل كان لمقدار المسافات عبر الطرق النهرية والبحرية نصيب في كتاباتهم كذلك، فعلى الرغم من ان الاشارات قليلة جدا عنها، ومع ذلك فقد ذكر في نص ان رحلة السفن من مدينة لكش الى مدينة نفّر، وهي مسافة تُقدر بنحو 85 ميلا (أي ما يعادل 135 كم) كانت تستغرق **من ستة عشر الى تسعة عشر يوما** عند اتجاه السفينة شمالا **عكس اتجاه تيار المياه** في حين كان يستغرق قطع هذه المسافة باتجاه الجنوب **مع تيار الماء** ما يعادل **اربعة الى خمسة ايام**[24].

كما يحدثنا الملك الآشوري شَرّوكين (سرجون) الثاني في احدى حولياته في معرض تعداد القابه ومنجزاته الحربية والسياسية: "..... الملك الذي اخضع سبعة ملوك من ملوك ايبا" وهي اقليم من اقاليم اياتنانا (قبرص) والتي تبعد مسافة رحلة سبعة ايام في عرض البحر (البحر المتوسط) .... "وعندما سمع اوبيري ملك ديلمون (البحرين) الذي يقطن **حرفيا يقع معسكره** كالسمك (كناية عن الجزيرة)، على بعد 30 بيرو (= 324 كم) في عرض البحر (الخليج العربي) باتجاه مشرق الشمس، بقدرتي العظيمة اتى بهداياه لي"[25].

---

(3) RLA. 7, 1987, P. 467.

(23) ساكز ،هاري:قوة آشور ،ترجمة عامر سليمان،منشورات المجمع العلمي، بغداد، 1999، ص 157.

(2) Leemans. W.F, "The Old Babylonian Merchant, Leiden, 1950, PP. 1 – 2.

(3) ARAB, Vol. II, P. 99.

كما ظهرت المسافات على بعض الخرائط التي خلفها لنا العراقيون القدماء، اذ وضع محرر خريطة العالم البابلية المسافات على الجزر التي رمز لها بالمثلثات، والتي وضعها خارج المحيط السماوي (اطراف المحيط) وسجل المسافات على هذه المثلثات، وفيما بينها بالساعة البابلية المضاعفة (بيرو) ولاسيما في المثلث (الجزيرة) الرابعة والخامسة والسادسة واشير الى المسافة بين كل جزيرة واخرى انها 6 بيرو(26) (= 64 كم) ولا يعلم على أي شيء استند الكاتب في تحديد هذه المسافة بين هذه الجزر(27). (تنظر خريطة العالم البابلية في فصل الخرائط).

ب. الرحلات

بعدما ظهرت انظمة الحكم الاولى في بلاد الرافدين القديمة وقامت الممالك برزت اسباب كثيرة لتوسيع الحملات البرية والبحرية.

وفي مقدمة الامور التي استجدت، اتساع رقعة الدولة وظهور هيبة الاكديين فالبابليين فالآشوريين وبروز ضرورة ربط نواحيها واقاليمها ومقاطعاتها اقتصاديا واداريا واجتماعيا مما استدعى استحصال الاتاوة، ونقل البريد. ولغرض متابعة دور الرحلات في العراق القديم واهميتها الجغرافية لابد من تحديد المراحل التي مرت بها تلك الرحلات والتي يراد بها ان تكون ذات طابع فني في الاسلوب ومتأثرة بالظواهر الطبيعية والبشرية ويتوقف ذلك على اصحاب الرحلة انفسهم ومدى اطلاعهم على البلدان التي يرومون وصفها، وبناءً على ما تقدم يمكن تقسيم الرحلات الجغرافية في العراق القديم الى المراحل الاتية:

- المرحلة الاولى:

تشمل من الناحية الزمنية الالف الثالث ق.م وقد امتازت الرحلة في هذه المرحلة ببروز هدف واحد من الرحلة وهو البحث عن ارض الحياة والخلود والدعة والراحة، ومن خصائص هذه المرحلة،

---

(26) قارن هذا الرقم (6 بيرو) والمسافة بين جزيرة كونية واخرى يفترض ان يكون البعد بين جزيرة واخرى في خريطة العالم البابلية اضعاف هذا الرقم مقارنة مع المسافة التي ذكرت انفا عن مقدار المسافة التي ذكرها شرّوكين الآشوري من شاطئ الخليج العربي حتى جزيرة ديلمون (البحرين حالياً) وهي مسافة (30 بيرو).

(27) سوسة، احمد: العراق في الخوارط القديمة، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المعارف، بغداد، 1959، ص 5.

بروز الرحلات الاسطورية او أن وصف تلك الرحلات يغلب عليها الطابع الاسطوري، نتيجة لطغيان الادب اللغوي على الفكر الجغرافي.

وفي هذه المرحلة برزت بعض الرحلات التي شملت الافق الجغرافي البري والبحري. واشهر الرحلات التي برزت في هذه المرحلة طائفة من الرحلات ذات الطابع الاسطوري وتأتي في مقدمتها دُرّة الادب العراقي القديم ملحمة كلكامش التي طبقت شهرتها الافاق، والذي يهمنا منها هي رحلته الى ارض الحياة، وتدور احداثها بالدرجة الاولى على مغامرة لكلكامش في جبال الارز (في لبنان) ولقائه مع حارس الغابة، العفريت خمبابا (خواوا). فان كلكامش وقد ادرك ان مصيره الى الموت مثل البشر الاخرين، عزم على اتيان بعض الاعمال التي تخلد اسمه قبل ان يحل به الاجل المحتوم، فقرر ان يذهب الى ارض الحياة ويقوم ايضاً بقطع اشجار الارز. وبعد ان ابلغ عزمه هذا الى صديقه وصاحبه انكيدو نصحه هذا ان يستشير الإله اوتو (شمش) ويلتمس منه العون لان غابات الارز تحت سلطانه وحمايته. فابدى اوتو العطف على كلكامش وَقَدّم له العون في سفره المحفوف بالاخطار عبر الجبال[28].

وجمع كلكامش في حملته خمسين متطوعا من اهل الوركاء ممن لا تربطهم رابطة عائلية، بعد ان هيأ اسلحة مختلفة، وقد حاول شيوخ مدينة الوركاء أن يثنوا كلكامش عن ركوب تلك المخاطر، فقالوا له من بين ما قالوا: "ياكلكامش انت فتى وقد حملك قلبك مدىً بعيداً، وانت لا تعلم عاقبة ما انت مقدم عليه. اننا سمعنا عن خمبابا ان بنيته مخيفة، ولا شيء يصمد امامه، والغابة تمتد مسافة عشر ساعات مضاعفة في كل الجهات" ولكن كلكامش لم يسمع نصح شيوخ مدينته، وعندئذ دعوا له بسلامة العودة وزودوه بالنصائح. وقبيل ان يشرع في السفر زار مع انكيدو معبد الإلهة ننسون، أُم كلكامش ليسأل منها البركة والنجاح، فصلى لها وخاطبها: "ياننسون، إئذني لي ان اخبرك باني اعتزمت سفرا بعيدا، الى موطن خمبابا.وانني مقدم على نزال لا اعرف عاقبته، والسير في طرق لا اعرف مسالكها. فحتى اليوم الذي اذهب فيه واعود والى ان ابلغ غابة الارز واذبح خمبابا المارد وامحو من على وجه الارض كل شر تمقته الشمس، تشفعي لي عند شمش" فاستجابت له ننسون. وعبر هو وجماعته سبع سلاسل من الجبال. ولا يعلم سير الحملة من بعد اجتياز تلك الجبال لانخرام النص[29]. وبعد ان يصبح النص واضحا نجد ان كلكامش قد غَطّ في سبات عميق اعاقه عن

(28) باقر، طه: مقدمة في ادب العراق القديم، المصدر السابق، ص 128.
(29) باقر، مقدمة في آدب، المصدر السابق ص129.

مواصلة سفره، ولكنه حالما استيقظ اقسم بأمه الإلهة ننسون وابيه لوكال بندا انه سيدخل ارض الحياة ولكن صديقه انكيدو استعطفه ان يعدل عن عزمه تجنبا للمهالك والاخطار، فان حارس غابات الارز خمبابا لا قِبلَ لاحد ان يَصُدَّ هجومه. وبعد ان شجع كلكامش صديقه وصل الاثنان الى غابة الارز واقتطعا سبع اشجار منها، واقترب كلكامش من مربض خمبابا ولكن هذا المارد، جَبُنَ ازاء كلكامش وتضرع اليه والى الإله آوتو ان يبقيا عليه، وكاد كلكامش ان يعفوعنه، ولكن انكيدو حرضه على قتله، فقتله وقطع رأسه، وقررا ان يأخذا جثته هدية الى الإله انليل وزوجته الإلهة ننليل، ويبدو ان ما يعقب هذا الموضع من القصة ناقص غير واضح[30]. فضلا عن هذا النص، هناك نص اخر، هو رحلة الإله انكي وتنظيم الكون وهي قطعة ادبية باللغة السومرية تصف تنظيم الإله انكي للكون وقد اطلق عليها الباحثون المختصون عنوان **انكي وتنظيم الكون** وخلاصة الاسطورة ان الإله انكي قام برحلة في اقاليم الارض المعروفة آنذاك ابتداء من بلاد سومر ليُسبِغَ عليها بركاته وينشر عناصر العمران والحضارة فيها، واضطلع من بعد ذلك بتنظيم احوال الارض وانهارها وبحارها، فملأ نهري دجلة والفرات بالمياه العذبة وبالاسماك، واوجد احراش القصب، وآلاجر وكثّر الحيوانات. ومن اجل تنظيم شؤون المجتمع الانساني عيّن آلهة يتولى كل منها ناحية معينة من النشاط الحضاري. فمثلا خصص للاشراف على الانهار وشؤون الري إلها اسمه انبيلولو والإله اينكمدو للفلاحة والزراعة والإلهة اشنان للخضار والغلال، والإله دموزي تموز للماشية والرعي وغيرهم[31].

- المرحلة الثانية:

تحدد هذه المرحلة من الناحية الزمنية بالالف الثاني ق.م وتقترن مع اهم المراحل التي تطور فيها الفكر الجغرافي، فقد تم تأليف العديد من معاجم وقوائم الاسماء الجغرافية التي تضمنت اسماء مدن واقاليم داخل بلاد الرافدين وخارجها، والتي اضافت بدورها واقعاً جديداً للرحلات فضلا عن توفيرها معلومات اضافية وجديدة عن تلك الاقطار. وفيما يأتي اهم الرحلات التي برزت في هذه المرحلة:

رحلة ملك الحرب ونقرأ في الملحمة التي تحمل ذات الأسم اشارة الى الطرق والمسالك، فمن خلال هذه الملحمة نجد ان مجموعة من التجار الاكديين في مدينة بورشخندا ***purushanda*** (أجم هويوك في اسيا الصغرى–تركيا حالياً–) قد نالهم بعض الظلم من حاكم المدينة مما دفعهم الى طلب

(30) المصدر نفسه، ص129.

(31) المصدر نفسه، ص 90 – 91.

النجدة من الملك شَرّوكين (سرجون) الأكدي وعند عزم الاخير على تجهيز حملة لنجدتهم، حاول احد مستشاريه أن يثنيه عن عزمه، لمصاعب الطريق الا ان شَرّوكين قد ردّ عليه قائلاً:

- "هل يأتي السلام الينا من ذاته ونحن جالسون على الكرسي، لابد لي من الذهاب الى هناك حتى لو كان الطريق متعبا لنا"، ومضى لما عزم، وخفّ لنجدة التجار، اذ طلب من ادِلاّء الطرق والرحلات معلومات للاستطلاع العميق عن المنطقة قائلاً:

- "اريد المعلومات الكافية عن الطريق المؤدية اليها وعن بورشخندا وما نوعية الجبال التي سنمر بها"، وكان الجواب: "الطريق الى بورشخندا يا سيدي، طريق صعب ومرهق عند السفر ويستغرق وقتا طويلا لقطعه والجبال التي ستواجهنا جبال ضخمة وتحتوي على الاثمد (الكحل) وحجر اللازورد والذهب وتنبت عليها اشجار التفاح والتين وخشب البقس ومليئة بالاحراش"[32]. وبعد سماع شَرّوكين لهذه المعلومات توجه الى بورشخندا، وعندما وصل الى المنطقة الجبلية التي وصفت له، شرع في قطع الاشجار التي تعترض طريقه ليفتح بذلك طريقا ممهداً لمسير جيشه، بعدها عبر نهراً على الرغم من فيضانه، وتم له أخيرا فتح المدينة، وأعاد الحق للتجار الاكديين، ثم عفى عن حاكم المدينة[33].

ولكن افضل أُنموذج واكثر الرحلات اهمية في هذا الصنف من الادبيات الجغرافية القديمة، نص بابلي قديم يعود الى الالف الثاني ق.م، عُرف بـ **رحلة بابلية قديمة**[34] ، او **الطريق الى ايمار**، ويحتوي على مسارات او مخططات رحلة (Itinerary) ذهابا وايابا، مع ذكر المسافة بين مدينة واخرى والزمن الذي تستغرقه الرحلة بين هذه المدن، حتى ان احد الباحثين وصفها بـ **دليل السائح** او **مرشد المسافر**[35]، ويصف هذا النص طريقا من بلاد الرافدين وتحديداً من مدينة لارسا (السنكرة) الى بلاد آشور مروراً بشمالي سوريا ومنها الى جنوبي تركيا وكانت كل تلك المحطات المذكورة

(32) رشيد، فوزي: سرجون الاكدي، الموسوعة الذهبية، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ص 56.
(33) المصدر نفسه،ص58.
(34) يعرف هذا النص في ثلاث نسخ مختلفة بالمعطيات والارقام بما يكفي او يسمح للمقارنة والافادة احداها من الاخرى (انظر الاشكال الموضحة للنص المسماري للرحلة في الملحق رقم 2)، ولذا يطرح سؤال بخصوص ما اذا كانت تمثل الأنموذج النصي المتماثل عينه، والمرجح على اية حال ان وجود النصوص المتقابلة او المتوازية والاختلاف فيما بينها انما يمكن تفسيره بالافتراض القائل **ان الرحلة هي جزء من حملة ملكية في طريقها لان تصبح نصا ادبياً**. Goetze, albrecht, "An Old Babylonian Itinerary", JCS, Vol. 7, no.2, 1953, P. 54-55 .
(35) باقر، طه مقدمة في تأريخ الحضارات، ج1، ص31.

الرئيسة والثانوية تبعد احداها عن الاخرى مسيرة يوم واحد، واذا ما استغرقت اكثر من ليلة واحدة في مكان ما، تتم ملاحظة ذلك بعبارات مثل **عندما انكسرت العربة** او **عندما توقف الجند للراحة على مدى يومين** وكانت رحلة كل يوم تستغرق 25 – 30 كم تقريباً [36].

وهذا يطابق السفر على الاقدام او في النهر بوساطة القارب[37].

وتستهل الرحلة بالعبارة الاتية:

من مساء اليوم السادس والعشرين من شهر أدَّرُ ***addaru*** – شباط – اذار حتى الرابع من شهر ايارُ ***aiaru*** – نيسان – ايار، المجموع شهر و 8 ايام (لعل المراد من ذكر هذه الحصيلة المجموعة هي المسافة من لارسا الى آشور).

أ. الرحلة الاولى: تتضمن 7 محطات وتشتمل على المسافة بين المحطتين الرئيستين:

– من لارسا (السنكرة حالياً) الى سبار.

يفترض ان يكون قد تضمنت المسافة من لارسا الى بابل مع ذكر ثلاث محطات الى جانب المحطات الاتية:

من مدينة بياءُ ***baia'u*** الى خومّ ***hūmma***.

من سبار صيرم ***sippar şêrim*** – سبار دورم ***sippar dûrim***، ودون الكاتب عدد الايام التي قطعها الجيش من بابل الى سبار مسيرة خمسة ايام ومن بابل الى سبار صيرم مسيرة خمسة ايام ايضا[38].

---

(36) ابدى الباحث ادزارد (Edzard) شكوكا وتحفظا حول دقة معطيات ومعلومات هذا النص وغيره اذ يرى ان هذه الادلة لا توضح مسافات موثوقة لانه عندما يورد كاتب النص (سبعة ايام من أ – ب، خمسة ايام من ب – ج فان الزمن قد يتضمن ايام توقف في رحلة ما او لا يتضمن ذلك، فضلا عن ان اعادة صياغة ادلة السفر التجارية الآشورية القديمة بين آشور وكانش وهي النصوص التي وضحت وجود مستوطنات آشورية عرفت بـ كارم ***karum*** أي: غرفة تجارة، او رصيف تحميل في كبدوكيا في اسيا الصغرى بالعصر الآشوري القديم، وهي ادلة مستندة الى رسائل خاصة فردية وليس الى بحث جغرافي. للمزيد ينظر:

Edzard, D. O., "The Ideas of Babylonian Geography", SUMER, Vol. 21, 1985, P. 11

(1) Nemet – Negat, Karen Rhea, "Daily Life in Ancient Mesopotamia", Hendrckson Publishers, 2002, P. 95.

ب. الرحلة الثانية: وتتضمن 12 محطة، وتشتمل على المسافة بين المحطتين الرئيستين:

– من سبار (ابو حبة حالياً قرب اليوسفية) الى آشور:

من دور – أبل – سين ***dur apil – sin*** تحركنا الى (خِبَرتم ***hibaritum*** – محطة قطار التاجي حالياً –) كاركلاتم ***kar kakkulatim*** – محطة قطار سميكة، (سميجة حالياً) كارشمش ***kar šamaš*** – (تل المطاب حالياً) على بعد حوالي (20–25)كم اعلى فتحة نهر العظيم على نهر دجلة [39].

– مَنكِسِ ***mankisi*** (تل كُرّ) على نهر دجلة وهنا دون الكاتب ملاحظة **البقاء او المكوث اربعة ايام** وهي ملاحظة لها ما يسوغها من خلال الاشارة التي اضافها الكاتب **بينما تجمع الجيش ووصلت القوارب** مما يعني ان مَنِكسِ هي ميناء وان الرحلة استؤنفت بطريق النهر[40].

ثم يستطرد الكاتب بايراد بقية المحطات: خِشتُم ***hišatum*** (ربما تتطابق مع العيث)–قبالة تكريت– – بُلُكّو ***pulukkû*** (ربما تطابق مع البلاليج[41] حالياغرب اشور)– يَخَبّلَ ***iahappila*** (من المفترض ان موضع يخبل هو بالقرب من سامراء ولكن النص المسماري اورده هنا بعد تكريت؟!) – مارميَنُو ***mārma/enû*** (ربما تمثل الفتحة حاليا بين ثضاء بيجي وجبل مكحول وربما تمثل تل مارموس حالياً قبالة قلعة الجبار بالقرب من جبل مكحول على نهر دجلة جنوب آشور)– سوتا [–....] وفي نسخة اخرى سُقَقُو ***suqaqû*** – (خربة المسحّق –المسحك–بالقرب من جبل مكحول حالياً) واورد الكاتب المسافة بين كل محطة من هذه المحطات الخمس **بمسيرة يوم واحد** باستثناء المسافة بين مارمَنو وسُقُق **مسيرة يومين.**

ان بنية هذا النص تشكل خروجا عن المألوف ، في اعلاها يفترض وجود دولة تبعد مسافة يومين ويفترض الباحث كوتزه ان الاسم (اوزبيئي) ***[u-zu-ub-b]e-e*** ويعني الرسوّ حيث تترك القوارب الى الجنوب من تحول النهر في منطقة جبلية تعرف بالفتحة لان اندفاع التيار هنا يجعل من

---

(2) Goetze, A., "An old Babylonian Itinerary", <u>**JCS**</u>, Vol. 7, 1953, P. 51 .

(39) دوّن الكاتب المسافة بين سبار وصيرم ودور ابل –سين بـ مسيرة 10 ايام بينما دوّن المسافة بين المحطة الاخيرة وبين كل محطة من المحطات اللاحقة بـ مسيرة يوم واحد لكل واحدة (Ibid, P. 51).

(1)Goetze, OpCit, P. 51.

(2) ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان (مادة بلاليج).

المستحيل على الزوارق ان تستمر شمالاً – ويفترض على الرغم من التشوهات في النص ان المحطة التي يراد الوصول اليها هي اشور[42].

ثم يحدد الكاتب المسافة بين مدينة سُقق وبين مدينة (آشور – قلعة الشرقاط حالياً –) بـ (مسيرة يوم واحد).

ثم يختتم هذه الرحلة بمدينة إكلاتم ***ekallatum***(هذا الاسم تشترك فيه مدينتين فان ورد بصيغة الجمع فالمقصود به مدينة ايكالاتي –تلول الهيكل – شمال شرقي اشور ان كانت بالزوارق ووردت بصيغة المفرد فالمقصود به مدية ايكالاتو – تل الذهب– بالقرب من جبل مكحول جنوب اشور حالياً ان كانت مسيراً) والمسافة بينها وبين آشور التي تقع قبلها **مسيرة يوم واحد**[43]، ومن ايكالاتُم تاخذ الرحلة مسارا لا يشاطئ نهر دجلة وسلكت طريقا بريا فيما يعرف بالجزيرة الفراتية (بين دجلة والفرات).

---

(3)Ibid, P. 57.
(4) Halo, w.w, "The Road to Eamr", JCS 18, 1964, P. 63.

ج. الرحلة الثالثة: وتتضمن 13 محطة وتشتمل على المسافة بين المحطتين الرئيستين:

– من آشور الى آشناكم مع ذكر المحطات الاتية:

بننو ***binanū*** (ربما تتطابق مع خربة بيجوانية جنوب ناحية الشورة في الموصل في العراق)– سقا ***saqā*** (ربما تتطابق مع قرية الزركه حاليا جنوب شرق المحلبية في الموصل في العراق) سليبا ***s/zalipa*** (ربما تتطابق مع تل الريس في بادوش شمال غربي الموصل في العراق)– ابقم ***apqum*** (ابو ماريا غرب الموصل في العراق حالياً)– كشكش ***kiškiš***(44) (ربما تطابق مع (تل كشكشوك) ويقع في مركز محافظة الحسكة شمال شرقي سوريا)– يابتورُم ***iapturum*** (تل القوز شمال شرقي سوريا أو ربما تتطابق مع قرية ابطخ الشور بالقرب من ناحية ربيعة شمال غرب الموصل في العراق)– تار خوش ***tārhūš*** (تل قَوز شمال سوريا حالياً) ويذكر النص المسافات من سلب – ترخوش **مسيرة يوم واحد** بين كل محطة، ومن تارخوش الى شوبات انليل (تل ليلان شمال سوريا حالياً) **مسيرة ثلاثة ايام** ومن شوبات انليل الى شونا ***šunā*** **مسيرة يوم واحد** ومن شونا الى اشنكِ ***ašnakki*** (تل شاغر بازار شمال سوريا حالياً) **مسيرة ثلاثة ايام** – آلان ***alān***(45).

ثم تأتي بقية المحطات الاخرى: (بناخزو ***panāhzū***) (مَمَكِر ***mamagiri***) والمسافة التي يوردها الكاتب كذلك بين كل محطة **مسيرة يوم واحد**(46).

د. الرحلة الرابعة: تتضمن ثلاث محطات، وتتشمل على المسافة بين المحطتين الرئيستين:

---

(44) عندما وصل الكاتب الى ذكر مدينة كشكش ***kiškiš*** اشار الى انهم قد قطعوا حتى ذلك المكان 20 يوما منذ انطلاق الرحلة.
(45) يعطينا النص هنا ملاحظة اخرى وهي ان اجمالي المحطات السابقة من***kiškiš*** قد بلغ مسيرة 10 ايام.
(3) Halo, w.w, "The Road to Emar", Op. Cit, P. 63.

– من اشنكوم الى خّران[47] مع ذكر المحطات الاتية:

لِبّ شَد اسام أُ أبَا ***libbi šad asam u abā*** – سموئي ***samue*** – لِبّ خرّان ***libbi harranu*** (حران في تركيا حالياً) .

هـ. الرحلة الخامسة: تتضمن 11 محطة وتشتمل على المسافة بين المحطتين الرئيستين: من خرّان الى ايمار مع ذكر المحطات الاتية:

أبقُ شَ بالِخَ ***abqu ša baliha*** (عين العروس او تل جدله شمال سوريا حالياً) صاخلالا ***şāhlala*** – زالباخ ***zālpāh*** (زلبا على نهر البليخ شمال سوريا او بالقرب من سروج في تركيا حالياً) – صيرقِ – اخُنَ ***şērqi ahuna*** – (سرين في سوريا حالياً) والمسافة بين كل محطة واخرى أشير اليها بـ **مسيرة يوم واحد**[48]، ثم يذكر المسافة من صيرق اخُنَ الى توتول (تل البيعة بالقرب من الرقة في سوريا [49]) **مسيرة يومين.**

ويمضي الكاتب في سَوق المسافات بين المحطات الاخرى: من توتول الى اخ بُرَتِم ***ah purattim*** (ضفة الفرات) **مسيرة يوم** ومن اخ بُراتّم الى اباتم **مسيرة يومين** ومن أباتم – أخ بُرَتّم – ومن أخ براتم – أخ براتم **مسيرة يوم واحد لكل منهما على التوالي** ومن اخ برَتم الى اشار با. أخ. را. ازخ ***ašār*** **BA. AH. RA** ***izihu*** **مسيرة يومين** ومن المحطة الاخيرة الى ايمارلبُّم ***emar libbum*** – (أسكي مسكنا حالياً او تل عضيمة غربية في سوريا) **مسيرة يوم واحد،** كما يذكر النص ان الجيش مكث في ايمار 19 يوما[50] كما توجد ملاحظة في الحافة السفلى (الحاشية) للرقيم تشير الى مجموع الايام وهي شهران و27 يوماً[51].

---

(47) خَرّانُ (حرّان حالياً) مدينة تقع بالقرب من مدينة اورفا يعني اسمها بالاكدية **الطريق** مما يعني انها كانت محطة مهمة على مر العصور للقوافل والحملات، وقد ازدهرت في العصر البابلي الحديث بكونها مركزاً لعبادة الإله سين، واولاها الملك البابلي نبونائيد عناية كبيرة باتخاذها مركزاً دينيا وكانت احدى اهم= =المقاطعات في العصر الآشوري الحديث. للمزيد ينظر الاطرقجي، رمزية محمد: حران مدينة لها تأريخ، بحث منشور مقدم الى الندوة القطرية السابعة في مركز احياء التراث العربي، جامعة بغداد، 1991، ص317 – 333.

(2) Hallo, "The Road to Emar", Op. Cit, P. 64.

(49) وهناك مدينة اخرى تحمل الاسم نفسه وهي توتول=هيت الحالية.

(50) هي اخر محطة في هذه الرحلة الشهيرة التي حملت اسمها اذ اصطلح الباحثون على تسميتها الطريق الى ايمار. وهي مدينة شمال غرب سوريا تُعرف بقاياها اليوم بـ (اسكي مسكنا).

(5) Hallo, Op. Cit, P. 64.

ويستمر النص ليخبرنا عن طريق اخر للعودة مغاير لطريق الذهاب من هذه الرحلة الى النقطة (أ) وهي نقطة انطلاق وبداية الرحلة الا وهي مدينة لارسا، اذ نقرأ: – مسيرة ... من [... لاتّ (م) ***lāttu [m]*** ... الى اخ بُرَتّم ***ah purattum*** ومسيرة ... من الاخيرة الى (أ) باتّم ***bāttum*** (***a***) (قلعة جعبر يبالقرب من سد الفرات غبر مدينة الرقة او قلعة النجم في سوريا حالياً) ومسيرة ... من الاخيرة الى توتول ومسيرة ... من توتول الى صيرقِ أخونَ – ***şērqi ahuna*** – (تل حاجب أو تل السيمان في سوريا حالياً) ومسيرة يوم من الاخيرة الى زالباخ ***zālpāh*** – ومسيرة ... من زالباخ الى ابقم شَ بَلِخ (تل جدله حالياً) ومسيرة ... من الاخيرة الى خرّانُم ***harranum*** – (حرّان جنوب تركيا حالياً) ومسيرة ... من حران الى سَخلدُ***sahulda*** ومسيرة يوم واحد من سخُلدَ الى خَزرِ ***haziri*** – (سلطان تبّه في تركيا حالياً) ومسيرة يومين من خَزرِ الى أد/تِم، ويسوق لنا كاتب النص بقية المحطات التي تكون المسافة بين كل محطة واخرى **مسيرة يوم واحد** وهي على التوالي: خبرميش ***huburmeš*** – با. مير. أُش **PA. MIR. UŠ** – وهي صيغة سومرية لاسم كوزانا (تل حلف شمال سوريا حالياً) – تونـدَ ***tūnda***– كوبشُم ***kūbšum*** – باكتَنُ ***paktanu*** كلـزَنُ ***kulzalanu*** (تل بارم في سوريا حالياً) [52]، ثم يذكر الكاتب مسيرة 10 ايام من اشناكُم – (تل شاغر بازار في مثلث الخابور شمال سوريا حالياً) الى اوركيش ***urgeš*** (تل عامودا شمال سوريا حالياً) ومسيرة يوم واحد من اوركيش الى شُنا ***šunā*** (تل الحميدية شمال سوريا حالياً) ومسيرة 26 يوما من شونا الى (خَرسين ***harsin*** – بالقرب من نصيبين في تركيا) ومسيرة يوم واحد من خارسين الى شُبات ^د^انليل ***šupāt*** **^{d}En. LÍL** (تل ليلان شمال شرقي سوريا حالياً) ومسيرة 8 ايام من شُبات انليل الى تارخوش ***tarhūš*** (تل قاوز شمال سوريا حالياً) ، ويستطرد الكاتب في سرد طائفة اخرى من المحطات التي تكون المسافة (مسيرة يوم واحد) بين محطة واخرى: ممَكيّر ***mamagīrri*** وترد احيانا بصيغة ***girrum***(راس العين شمال سوريا حالياً) او ربما تتطابق مع بير عكلة او جلبارات شمال غرب الموصل وهي التي عرفت فيما بعد في العصور الاسلامية باسم (برقعيد) واللفظان الاكدي والارامي يدلان على الاستقرار والثبوت والقعود ويعنيان (ابن القعود او الاستقرار ، مما يعني انها كانت تمثل محطة لاستراحة القوافل) والمواقع التالية تقع ضمن العراق في الوقت الحاضر، لادا ***lādā*** (ربما تتطابق مع تل ابو ظاهر شمال غرب الموصل) – كالِز ***kālizi*** (ربما تتطابق مع قرية الجيساري شمال ناحية زمّار شمال غربي الموصل) – مرَّتا ***marratā*** (ربما تتطابق مع وادي المر بالقرب من بلد (اسكي موصل))– زَلنبا ***zalipā*** (ربما تتطابق مع بفرا حاليا

---

(1) Goetze, "An old", Op. Cit, P. 54.

شرق الموصل)أدو ***adū*** (ربما تتطابق مع قرية البدرية او القصر شرقي الموصل) – كاميلخُ(ربما تكون صيغة قديمة لاسم المدينة الاشورية كلخو(نمرود)) ***kāmīlhu*** – (...) – (...) –دور ... ***dur*** ...– مَكلا ***magalā*** – الكامينيا ***al. ka. mi. ni. a***، **ومسيرة يومين** من سبَر ***sippar*** الى بابل ***babilum*** **ومسيرة 13 يوما** من بابل الى خَبخَبّ ***haphappi***، **ومسيرة يوم واحد** بين محطة واخرى لكل من: اِبلَخ***iplah*** – سَنَسَبِ ***sanasapi*** – رَزَمَ ***razama*** – لَرسَم (لارسا) ***larsam***، كما دوّن لنا الكاتب في ختام لوح الرحلة[53] بأسفله. ملاحظة: **المجموع ستة اشهر واربعة عشر يوما ذهاباً واياباً**[54].

وقد تم تأكيد المواقع الجغرافية القديمة الواردة في الرحلة بما يطابق الجغرافية الحديثة عموما فيها. ان مجرد نظرة الى معجم **التراث الجغرافي في النصوص المسمارية**[55]:

ستظهر مدى اعتماد الجغرافية التأريخية في تلك الفترة على ادب الرحلات: فمن بين 60 اسما قديما لمدن كبرى وصغرى محدد موقعها بصورة قطعية او على نحو مؤقت في خريطة منطقة الشرق الادنى القديم، هناك 15 اسما يتكرر في الرحلة، ويمكن تحديد مواقع 50 اسما اخر بالرجوع الى الرحلة أيضاً[56] ان تتبع خرائط الارض يدل على ان الكثير مما لم يكن معروفا من قبل اصبح الان معروفا مما يعطي صورة اوضح للمعرفة الجغرافية فهناك الكثير من المواقع التي يمكن التكهن باماكنها على الارض، وذلك ما تمت معرفته بعد طباعة الادبيات الجغرافية الحديثة، ولكي تتضح

---

(53) خلت الرحلة من ذكر تأريخ النص لذا كان على الباحثين التكهن به اعتمادا على النص نفسه اذ يأتي ذكر دور ابل–سين ***dur apil – sin*** وهي قلعة اخذت اسمها من ***apil – sin*** (1820–1813ق.م)ملك بابل الذي حكمها قبل الملك الذي سبق حمورابي، والرحلة من لارسا الى بابل وسبار لم تتجاوز بلاد الرافدين عبر حدود بلد اخر، من هنا فأن النص يشير الى ان جنوبي العراق كان دولة موحدة، وهذا لم يكن متحققا قبل توحيد خمورابي (حمورابي) لبلاد الرافدين في السنة 30 من حكمه وتستمر الرحلة الى مانكيسُ والى اراضٍ كانت جزءاً من اشنونا ثم يأتي شمالاً الى دجلة ثم تمر بآشور ثم تخترق اعالي بلاد الرافدين والى مناطق كانت تحت حكم زمريلم، ولا ترينا الرحلة أي نفوذ للكشيين في وادي دجلة من مانكيسوم وحتى نينوى، إذ لم يكن الكاشيون قد احتلوا اراضي العراق بعد (Ibid,P.54).

(2) Ibid, P. 54 – 55.
(3) Rollig, W, (ed.), **RGTC** = Repertoire Geographique des Textes Cuniformes, Wiesbaden, (1974 –).
(4) Hallo, "Origins", Op. Cit, PP. 91 – 92.

الصورة اكثر، حدد احد الباحثين المعاصرين على وجه الدقة ان مسافة الرحلة ربما تتراوح بين 25 – 30 كم في اليوم الواحد وهذا ما تم تحديده على خريطة الارض التي اعتمدت مخططات ومسارات الرحلة (Itinerary) (ينظر: **مخطط الرحلة في الملاحق**) وغني عن القول هنا ان اثنين من اكثر المواقع اهمية وتوثيقا اعتمادا على الرحلة قد تأكدا بصورة محسومة من خلال التنقيبات الاخيرة في موقعي (تل ليلان) = شُبات انليل ***šubat*** **^{d}ENLÍL** و(اسكي مسكنا) = ايمار **EMAR** نفسها، وثالثا يقع في (تلول الهيكل – الهيجل –) = اكلاتم ***ekalātum***[57].

ولعل من المفيد مقارنة الطريق عبر بلاد الرافدين[58] من دجلة الى الفرات مع الرحلة والطريق من آشور الى كانش الذي سلكها التجار الآشوريون الذين كان مركزهم في كانش التابع لاقليم كبدوكيا في آسيا الصغرى قبل قرن ونصف من رحلة **الطريق الى ايمار**، ولا بد ان تكون هناك بحكم طبيعة الامور علاقة بين الطريقين. ولسوء الحظ ليس لدينا في رقم (كول تبة)[59] مخطط لمسار رحلة الا ان الباحث Goetze واستنادا الى معطيات تلك النصوص وبياناتها تمكن من إعادة بناءها وتقديم صورة جزئية كما في المخطط الذي يوضح طريق القوافل في العصر الآشوري القديم[60] (ينظر مخطط الطرق في الملحق رقم 3) وتشير النصوص المكتشفة في قانش من رسائل وغيرها الى ان المدة التي تستغرقها الرحلة تتجاوز الشهرين اما المسافة فتقدر بـ 130 بيرو =1404كم ، وهي رحلة طويلة جدا حتى بالنسبة لوسائط النقل الموجورة حاليا، لأنها تجتاز مناطق وعرة وصعبة، وتحتاج الى احتياطات امنية كثيرة، يؤكد ذلك ان بعض التجار كانوا يخطفون وهم في طريقهم الى بلاد الاناضول، كما تشير الى ذلك بعض النصوص. وكانت المدن والقرى الواقعة على الطريق تهيئ للقافلة التجارية مستلزماتها من المواد الغذائية والمؤن كما كانت هناك محطة في وسط الطريق يتوافر فيها عدد من الأُجراء الذين يرافقون القافلة، وكان على القافلة

---

(1) Hallo, W.W, "The Road to Emar", PP. 81.

(58) للمزيد من التفاصيل عن اهم الطرق والمسالك البرية والبحرية والنهرية التي سلكها العراقيون القدماء طوال عصرهم ينظر: باقر، طه: مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، ج1، ص 31 – 34، والحمداني، ياسر هاشم: وسائط النقل في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، 2002، ص 18 – 23.

(59) عن طبيعة هذه الرُّقم المسمارية ومضامينها ينظر:

Larsen, M. T, "Old Assyrian Carvan Procedures", Istanbul, 1967.

(4) Goetze, "AN old", Op. Cit, P. 64.

ان تدفع الضرائب (عُشور التجارة) الى جباة البلدان التي تمر بها، وربما كان هناك طرق فرعية يسلكها بعض المهربين من التجار الذين يتحاشون المرور من مراصد ومرافق المكوس، اذ ورد ذكر **طريق المُهَرّبين**[61].

- المرحلة الثالثة:

تحدد هذه المرحلة من الناحية الزمنية بالالف الاول ق.م، وفي هذه الفترة اخذت الرحلات تنمو وتتطور نتيجة لتطور المفاهيم الجغرافية ووفرة المعلومات، فاصبحت تتميز بظهور الفكر الادبي، الذي تمثله قصة الرحلة او الحملة، وبذلك بدأت الرحلة تقترب من التكامل والنضوح فشملت اوصاف المدن وحاجتها وعادات الناس، أي أنها اخذت تشمل الجانبين الطبيعي والبشري، كما نلمسها في العديد من حوليات[62] الملوك الآشوريين التي سطّروها على الواح جدارية خلّدت حملاتهم على اصقاع شاسعة من بلدان الشرق الادنى القديم فلم تعد الحملات الآشورية كلها قتالاً. ففي الاقل كان بعض الآشوريين، وبالتأكيد بعض الملوك، يحصلون على متعة كبيرة في هذه الحملات العسكرية الى المنطقة الجبلية، بشكل مستقل تماما عن اعتبارات الاشتراك في المعركة. فقد كانت الجبال شرقي وشمال بلاد آشور من حيث المشاهد و**في الصيف** من حيث المناخ طيبة جدا وقد سجل بعض الملوك ردود افعإلهم تجاه ذلك وكان شَرّوكين (سرجون) الآشوري (721–705ق.م) مندهشا جدا بمناظر جبال زاكروس وكذلك كان سين – اخي – ايريبا (سنحاريب 704–681ق.م) ابنه وخلفه، والذي وجد متعة في المغامرة بالجبل. فعند تسلقه جبلاً عاليا لتعقب بعض الجبليين المناوئين، كتب لنا نبذة بسيطة: "لقد قمت بالقيادة مثل ثور وحشي هائج مع حرسي المنتخبين وقوات المشاة. لقد عبرت الوديان والسهول والممرات والمنحدرات الخطرة بهودجي. وعندما كانت صعبة جدا للسير بالهودج مشيت على قدميّ وذهبت اتعقب الى اعلى القمم مثل الغزال، وعندما تعبت ركباتاي، جلست على صخرة جبلية وشربت ماءً بارداً من قربتي لاطفاء ظمئي"[63]. وقدمت لنا حملة الملك شَرّوكين **سرجون الآشوري** الثامنة على اورارتو والتي فاضت بوصف طوبوغرافية وطبيعة (بلاد

---

(61) سليمان، عامر: النظم المالية والاقتصادية، العراق في موكب الحضارة – الاصالة والتاثير، ج1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1988، ص 385.

(62) سنتناول جوانب عديدة من هذه الحوليات ولا سيما ما يتعلق منها بالمفاهيم الجغرافية التي ضمنتها تلك الحوليات لها في الفصل الثاني ولاسيما المظاهر البشرية والطبيعية **ومنها الطبوغرافية بطبيعة الحال.**

(63) ساكز، قوة آشور، ترجمة : عامر سليمان ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد ، 1999، ص359 – 360.

ارمينيا واذربيجان) فضلا عن حملة الملك آشور – أخي – ايدينا (اسرحدون680–669 ق.م) الذي وصف لنا هو الاخر صحراء وبوادي العرب في بلاد الشام وسيناء[64]، الى جانب العديد من الحملات الاخرى، كما ان الرحلة في هذا العصر اخذت تميل الى جانب التخصص الجغرافي وتبتعد قليلاً عن المنهج التأريخي. واهم الرحلات التي برزت في هذه المرحلة هي:

---

(64) باقر، طه: مقدمة في تأريخ الحضارات، ج1، ص6.

- **رحلة الطريق الى زاموأ:**

وصلتنا هذه الرحلة من العصر الآشوري الحديث ومن مكتبة الملك آشور بان ابل (آشور بانيبال) ويمثل هذا النص دليلا لخطّيّ سفر آشوريّين، وعرف هذا النص **بالطريق الى زاموأ** التي تمثل حالياً منطقة السليمانية وسهل شهرزور الى بحيرة زيريبور داخل الحدود الإيرانية، وساعد هذا الدليل على تحديد طريق بري يتجه من منطقة دجلة نحو الشرق الى المقاطعة التي تعرف في النصوص الآشورية الحديثة بصيغة (زاموأ)(65).

وتورد الرحلة اسماء العديد من المدن والقرى والمحطات الواقعة على طريق الرحلة، كما انها تذكر المسافة بين كل موقع مقاسة بوحدات متنوعة من مقاييس وحدات المساحة الطويلة كالفرسخ المضاعف (بيرو) والعصا والمرحلة، الا ان الملاحظ ان هناك كسراً وتهشماً في مكان الرقم الذي يسبق وحدة المسافة الطولية في اغلب الاسطر(66)، الامر الذي يؤدي والحالة هذه الى ارباك وصعوبة في احتمالية تقدير الرقم على النحو الدقيق ويترك الباب مفتوحا امام التقدير المناسب مع وجود المحطات والمدن، اذ لا سبيل الى معرفة طبيعة المسير هل كان بطيئا ام سريعا مع ترجيح الاحتمال الاول لصعوبة تضاريس المنطقة:

الوجه

1- [×**KASKAL.KID**] (بيرو)***beru*** × مراحل × +] عشر **UŠ** (عصا) من مدينة بَقَارِ ***baqari*** (تبه يعقوب جنوب كركوك حالياً) حتى سَري ***sarē***.

2- [× بيرو ***beru*** ومرحلة وعصا من] سَري (التون كوبري حالياً) وحتى مدينة ارزُخِنَ ***arzuhina*** (كوك تبّه جنوب الزاب الاسفل حالياً) .

3- [المجموع × بيرو ***beru*** و×**NINDA** (مرحلة) و× عصا من بَقارِّ ***baqārri*** وحتى ارزُخِنَ.

4- المحط [ة الاولى] ستة ايام (من الشهر).

5- [من ارزوخينا] وحتى دور – أتانات ***dur atānāte*** (حصن الأُتُن –اناث الحمار–) (تَوكُّل شمال قضاء المقدادية–شهربان– بمحافظة ديالى. او تل قره جوغ حالياً) .

---

(1) Frayne, D. R., “The Early Dynastic List of Geographical Names”, New Haven, Connexticut, 1992, P. 74.

(66) لذا رمزنا للمكان الخالي من الرقم بعلامة × الدالة على كسر وتلف النص في النصوص المسمارية.

6- [- بيرو ***beru*** و × مراحل و × عصا] [اليوم] السابع [(من الشهر)]، المحطة الثانية.

7- [من دور – أتا] نات وحتى ماتورابا ***maturaba***.

8- [(و) من ماتورابـ] حتى دور تلِت ***dur talite*** (قلعة جمجمال بمحافظة السليمانية حالياً).

9- [× بيرو ***beru*** ومرحلة و × عصا، من دور اتاناتي وحتى دور تلِت.

10- [اليوم الثامن (من الشهر)، المرحلة [الثالثة].

11- [من دورتـ] لِت وحتى بابيتِ ***babite*** (بازيان حالياً أو موضع في سهل شهرزور).

12- [(و) من بَبِتِ وحتى] لاكلكِ ***lāgalagi*** (قرية اولوبولاغ حاليا على الضفة الغربية لنهر تاينال).

13- [× بيرو ***beru*** و × مرحلة و × عصا من دور – تـ] لِتِ.

14- [وحتى لاكلكِ] [اليوم التاسع (من الشهر)، المحطة الرابعة].

15- [من لاكلكِ] وحتى رَدانِ ***idradāni*** (نهر العظيم).

16- [(و) من نار ردانِ] وحتى ازرِ ***azari*** (آزور او يازور حالياً جبل ازمر شرق السليمانية) .

17- [× بيرو ***beru*** و × مرحلة و × عصا، من لا] لاكلك.

18- [وحتى ازرِ] [عشرة ايام (من الشهر) المحطة الخامسة].

19- [من ازرِ وحتى أ] راكد ***arrākdi*** (-بنكرد حالياً- في سهل شهرزور بالسليمانية).

20- [× بيرو ***beru*** و × مرحلة و × عصا] [اليوم الحادي عشر (من الشهر) المحطة السادسة].

21- [× بيرو ***beru*** و × مرحلة و × عصا من أرّا اكد [ي.

22- وحتى بـ] ـارزوندِ.

قفا اللوح 1- × بيرو ***beru*** و 5 مراحل و20 عصا من بارزوند ***bārzūndi***.

2- وحتى نـ [بـ]كِ ***napigi***.

3- [× مرحلة و20 عصا من نَبِكك و[حتى] دور آشور حصن آشور (بكرآوه حالياً في ناحية سيروان قضاء حلبجة جنوب شرق محافظة السليمانية) .

4- المجموع 2[1] بيرو ***beru*** ومرحلتان و20 عصا من أرّاكدِ.

5- في اليوم الرابع عشر (من الشهر) المحطة السابعة.

6- [من دو]ر – [آشـ]ور وحتى سِزِنِ ***sizini*** (شايزانه حالياً) .

7- [من سيزين] وحتى بَنَبل ***banbala***(67).

8- [× بيرو ***beru*** و× مرحلة و× عصا مـ [ن دور – آشور وحتى بَنَبل.

9- اليوم الخامس عشر (من الشهر) المحطة الثامنة.

10- [من بنبالا] وحـ [تّى قلـ] ـعة كُرّايا ***gurraia***.

11- [ومن قلعـ] ـة الكوريين (قبيلة بدوية ربما تضاهي قبيلة اوتوعو ***utu'u***).

12- وحتى جفنات (عرائش العنب) بيل خرّ [ان (تل عبطة حالياً) ×] بيرو ***beru*** و5 مراحل و50 عصا.

13- [من بَنَبل وحـ] تـى عرائش بل خرّان **GIŠ.** ***Gupni šá*** **dEN. KASKAL**.

14- [اليوم السادس عشر (من الشهر)] المحطة التاسعة.

15- [من عرا]ئش بل خرّان وحتى.

16- [قلعة] أدد – رِمَنِ **URU.** ***halşu šá*** **mdIM.** ***Remani***.

17- [ومن ...] وحتى دور توكولتي – ابل إيشارا (حصن تكلاتبليزر الثالث (تل بارسب او تل احمر شرقي الفرات شمالي سوريا حالياً) المجموع.

18- مجموع × **بيرو beru** × مرحلة و+ × عصا، من عرائش بل خرّان.

---

(1) Levin, Louis. D. SAAB,3,1995=K 4675,1989,Vol. XI, PP. 11 – 12. ينظر كذلك SAA, XI, pp.11-12.

19- [وحتى دور توكو] لتي – ابل – ايشارا، اليوم السابع عشر (من النهر) المحطة العاشرة].

20- بقية السطر تالف ومهشم.

21- بقية السطر تالف ومهشم[68] (انظر مخطط الرحلة في الملاحق (رقم 2)).

---

(1)SAA,XI,OP.Cit, PP. 12 – 13.